صدمات سياسية في عرض مجاني للجميع

٢٠٠٦/٠٦/١٤

صدمات سياسية في عرض مجاني للجميع

محمد سمير عبد السلام
مصر

يرصد أحمد الشيخ في مجموعته عرض مجاني للجميع عن قصور الثقافة ٢٠٠٦- التأثير اللاواعي للصدمات السياسية و الحروب علي شخوصه ، من خلال علاقة الكتابة الحلمية الأوتوماتيكية ، بالظواهر السلوكية في الواقع ، و من ثم إبراز الواقع في وحشيته كأنه خارج للتو من تداعيات اللاوعي و علاماته المنتجة من صدمات الوقائع السياسية ، و تجب الإشارة هنا إلي أن الحادثة التي تم تحويلها إلي كتابة لم تكن معزولة عن الاندفاع الغريزي للتدمير وفق فرويد أو تحولات الصورة عند بودريار و ديريدا .

لقد استثمر أحمد الشيخ هذا الجدل المفتوح بين ما هو سياسي و بدائل الواقع المختلفة في الكتابات الطليعية ، ليحول صدمة الحرب إلي حالة من الدهشة يمارسها أبطاله أمام دخولهم الحتمي في مصائر و سياقات مضادة لهويتهم ، بل قد يفشل بعضهم في معرفتها من أثر التحول و التدمير .

و بهذا الصدد يري فرويد أن الحروب الطاحنة تؤدي إلي إصابة عدد كبير من الناس بما يسمي بعصاب الصدمة أو عصاب الحرب ومن شدة تعقيده أنه قد يصيب من لم يتعرض لحادثة كبيرة من قبل (راجع n فرويد n ما فوق مبدأ اللذة n ت n إسحق رمزي n دار المعارف سنة ١٩٨٠- ص ٣١ و ما بعدها) ، فقد ينشطر السارد بفعل الصدمة السياسية إلي أكثر من ذات حضارية في نص (كوابيس و منامات) ، فيتعدد صوته تبعا لاختلاف حلول هذه الذوات في شخصه الذي صار مجالا للجوع و الرعب و الاتهامات غير المبررة التي تشبه مستعمرات التعذيب المتخيلة في محاكمات كافكا أو أنها خرجت من مسرح العبث إلي الواقع السياسي ، فمن التخبط و الهروب في المغارات الأفغانية إلي القنابل و الحكم بالإعدام ثم سعي السارد n بوعي n إلي الموت ، كرد فعل لهيمنة الذاكرة الملوثة بدماء القتلي ، كأنه يستعيد أوزوريس و يتمثل نفسه قربانا حضاريا مفككا بفعل الذاكرة .

و في (عرض مجاني للجميع) يتلقي البطل و جيرانه دعوة خاصة لحضور عرض افتتاح سينما بمكان راق ، و في هذا العرض يعايش البطل الواقع من خلال حضور الصورة السينمائية و قدرتها علي استثارة الصدمة السياسية في لا وعي البطل ، بل صناعتها أحيانا ، فالعرض يبدأ برقص أنيق ثم يتجه إلي العري البدائي ، ليستبدل المدلول الحضاري الإنساني في عالم الصورة ليكشف ازدواجية الفعل / الرقص و عدم معقوليته ، و انفصاله عن الخطاب الكلامي ، فالرقص يجسد اندفاع الغرائز بما تحمله من معان فرويدية علي الإيروس و التدمير معا ؛ إنه يعيد تكوين عقول المشاهدين نحو الانسياق في لوحة تجمع بين اللذة و الرعب ، و قد بدأ ذلك من الشخص الأنيق صاحب الدعوة الذي يخفي عالما مدمرا يتصل بصدمة اللاوعي الكامنة ، و مع تقدم العرض تبدأ مشاهد حروب غير متكافئة ، و أصوات قتلي و مظاهرات و عنف غير مبرر يضعنا أمام كتل تصويرية بشرية تشبه الدادا آرت dada art حيث يتجانس الصوت المذبوح شكليا مع الرقص و الموسيقي و ابتسامات الترحيب . النص هنا يبدأ من رصد خطاب القوة لنقده ، و لكنه علي نحو غير واع يتجه بالإشارات السردية إلي تحويل لعبي لعمليات السياسة و العنف في علاقتها بالرقص و الغرائز حيث يصير العقل الناقد فضاء لاستقبال تناقضات الصورة المؤولة للصدمة و المنتجة للكتابة المضادة لها في آن من خلال الحلم .و في (لعبة الصحو و المنام) يقيم السارد مونتاجا بين الشطرنج الآلي علي الكمبيوتر ، و صوت الدبابات و الطائرات المهدد للبطل كأنه دائما في وضع المتهم ، فالشطرنج يقهر الماضي المجيد للبطل في ممارسة اللعبة علي المقهي و انتصاراته التي يأبي الكمبيوتر أن يعترف بها . لقد تحول البطل إلي ضحية أسطورية للذكاء الاصطناعي ، مثلما وجد نفسه متضائلا أمام هجوم الدبابات ، فلجأ إلي الفرار من العملاق الأسطوري المتقن للحرب فينتهي الأمر بأسره . ونلاحظ تواتر تضخم الآلة بين الخطين السرديين حيث تقهر الوعي و تطلب التقديس المباشر من داخل منطق اللعبة . ويحتمل النص حركة مضادة وسيطة بين المشهدين الرئيسيين ، و هي احتلال عناصر الشطرنج لأنماط واقعية من الناس فالملك ليس قويا في ذاته لأنه يتحرك خطوة واحدة في المرة . أما الحصان فيؤول الشخص الانتهازي حيث يقفز فوق الآخرين . ما الذي يمثل مرجعية السارد هنا ليري من خلاله العالم ؟ إنها اللعبة التي تغير من نسق الإشارات الواقعية و تحولها إلي واقع فائق أكثر قوة وحضورا مثل الآلة .

و يمتد الواقع الحلمي مثل كائن خرافي يعاين لحظة التكوين من داخل واقع البطل في نص(المنام المعكوس) ، فالنص يبدأ بانهيار واضح لحدود زمان ومكان الصلاة التي يؤديها البطل ثم يرصد السارد برهافة هوسا رهيبا يستولي علي البطل بصدد حركات الجسد و تبلدها المفاجئ في السجود إذ يقع في دائرة التجمد ثم يفاجأ بأن القبلة كانت خلفه فينتفض من الهوس الشيطاني ، ويذكر المروي له بأنه كان في حلم ، وعند تلك النقطة يناهض السارد عزلة الحلم ، إذ يستمر الجمود في قدميه ليكمل الكتابة الآلية في الواقع ، ويضعنا في تساؤل جذري حول ماهية الواقع نفسه . و مدي تجسد الآثار الحركية اللاواعية للصدمة فيه .

و في انكسار الخواطر يتوجه السارد بالحديث إلي مروي عليه صديق ، ثم يواجهه بمجموعة من المصائر الدائرية التي تستلب هويته ، و تذبح خيالات اليقظة لديه ، فقد وجد نفسه ضمن دائرة سوق المواشي ، كأن رقبته هو وضعت علي المذبح ، حيث يرتكز الضوء أغلب الوقت علي رؤوس العجول و حركتها الصاخبة . لقد تحول مسار الابن / البطل من الخروج من سلاح الطيران بالكلية الجوية لأسباب سياسية بسيطة إلي الوقوف كبديل للأب في سوق العجول ، و ينقاد البطل إلي حلبة السوق ذليلا كعجل تهاوي من شاعرية الهواء و خيالاته المتعالية و عواصفه بفعل صدمة سياسية حولته إلي سياق التشيؤ . إن البطل مازال يجرب الطيران ، ليستعيد الصدمة ، و يستعد لأن يكون مباعا . هل خفت صوت الهواء داخله ؟ أم تحول إلي عاصفة تدمر السوق ؟

و بوعي طفولي يرصد السارد لحظة ميلاده ، كأنه يعايشها من جديد في زمن السرد ، في نص (احتمالات بداية) ، فهو يقتفي أثر الأم الغائبة عن طريق عملية تمثيل سحري للمادة التي خرج منها ، و هي الرحم في علاقته بالمواد الكونية كالرماد و الأرض و الهواء ، عندئذ تتحول الأم إلي أنثي كونية تجمع بين الحب و بعثرة أجزاء الطفل علي الرماد أو الرمال ، إن السارد يجمع الماضي مع المستقبل إذ يسافر في لحظتي التكوين و غياب الأم المبكر كأنها سوف تلملم أجزاءه n لو حضرت n في المستقبل . إنه يعايش طيفها من خلال حكايات جدته و أسئلته الوجودية لها حول أصله الضائع المقترن بصورة الأم ، و هنا تتسع تلك الصورة لتحل كروح مقدسة في لا وعي البطل في المكان و هو كفر عسكر ، فيندفع البطل إلي اللعب و الطيران كقرد في الفراغ ، يحاول الخروج من مصيدة العدم .

٢٠٠٦/٦/١٥ Date - ٢٤٢٧Issue - Azzaman International Newspaper

جريدة (الزمان) الدولية - العدد ٢٤٢٧ - ٢٠٠٦/٦/١٥

٠٩AZP

ارسل هذا الخبر الى صديق بالبريد الالكتروني
نسخة للطباعة

AZZAMAN.COM

http://www.alefyaa.com/azz.asp
Editor in Chief Saad Albazzaz